ملك الحلوى يعترف بتذوقه مُر التشطير!!

« السياسة » لم تكن صنعتي قط و« الحلاوه » هي مهنتي قبل وبعد !

أيام التشطير كان « الخوف كل رصيدي » وبعد الوحدة امتلكت العقارات والبيوت

سجل ذكرياته/محمد السيد

وأنت تستمع إليه تجد نفسك وكأنك طفل صغير يدخل أول يوم إلى المدرسة يحاول بشغف شديد الإنصات بصمت لكل ما يقوله المعلم ، لكن ما نقصده هنا ليس ذاك المعلم الذي عرفناه يمسك بالطبشورة ، وأحياناً بالعصا .. المعلم هنا هو "العم علي سعيد" الذي لا يفرق بين الألف وكوز الذرة - على حسب رأي اخواننا المصريين - إلا أنه استطاع أن يكون ملك الحلوى بامتياز على مستوى اليمن إن لم يكن على مستوى الجزيرة العربية ، تلمس ذلك من خلال شهادات التقدير التي تغطي جزءاً من المحل ، منحت له من وزراء وسياسيين ومدراء عموم وسياح ومقابلات إعلامية محلية وأجنبية!!

أعترف بأني أمام العم علي سعيد أجدت فن الاستماع لأول مرة في حياتي ، لقد لمسته يعشق الوحدة بحرارة ، ويكره التشطير لدرجة الغثيان!

في هذه السطور يعترف ملك الحلوى بأنه تذوق مر التشطير ودخل أكثر من سجن وأصبح بلا منازع من أكثر الرجال الذين تعرضوا لسيل من الاتهامات والأوصاف.

لعنة التشطير !

– ما هي حكاية العم سعيد مع التشطير ؟

● حكايتي مع التشطير تكاد لا تنتهي ، فبسبب أني أملك داراً عمره يصل إلى أكثر من ٢٠٠ سنة في إحدى الجبال الحدودية بالقبيطة يسمى «جبل قتيم- السقمي» لاحقتني لعنة التشطير أينما ذهبت أو توجهت ، حيث عاصر هذا الدار الكثير من الأحداث والعواصف السياسية التي كانت تنشأ بين الطرفين في الشطرين .. الطرف الجنوبي كان يدعي ملكيته للجبل الذي يوجد به الدار ، ونفس الحال كان الطرف الآخر.

يؤكد بأن الجبل تابع إليه ولا يمكن أن يفرط به تحت أي ظرف من الظروف ، وخلال التوترات والاشتباكات بين الجيشين كانت مختلف الأسلحة توجه إلى الجبل الذي يطاله القصف .. وكذا المنزل أيضاً.

في نفس الوقت كانت تنشط الجماعات التخريبية في الجبل .. لقد كان داري الذي ورثته عن الوالد بين نارين يدعي كل واحد منهما ملكيته لهذا الوادي ، فكانت ما يعرف بـ«جمهورية اليمن الديمقراطية» تدعي أن جبل قتيم يعود لها ، و«الجمهورية العربية اليمنية» ترفض ذلك الإدعاء بحكم الوثائق التي تؤكد ملكيتها له رغم أن الجبل كان بملكي أنا ، حيث جدي الأول يعد أول إنسان يمني يسكن هذا الجبل !.. وهكذا ظللت أعيش فترة خوف وقلق.

لم أتمكن خلالها من زراعة أرضي أو الاستفادة منها.

علماً بأن هذا الجبل كان يمثل منطقة توتر أيضاً حتى قبل قيام ثورتي الـ٢٦ من سبتمبر والـ١٤ من أكتوبر المجيدتين ، حيث استولى المستعمر الأجنبي على منزلي هنا وحل فيه لنحو ٦ أشهر ابان الاحتلال !!

الرحيل

– ما موقفكم مما كان يجري ؟!

● العم سعيد .. فضلت الصمت ونجيت بحياتي وروحي ، لقد وقفت موقف المتفرج ، بعد ما شاهدت الموت أكثر من مرة .. ماذا كنت تريدني أن أعمل .. أنا إنسان ضعيف ، لقد ظلت أراقب كل ما يجري وأتابع أخبار الجبل والمنزل أولاً بأول دون تعليق ، وعندما اشتدت التوترات وتفجر الوضع أكثر من مرة في الجبل قررت الرحيل على مضض والدموع في عيني لأنجو بحياتي إلى منطقة الراهدة التي لي فيها نحو ٤٠ عاماً !! ، إلا أن ذلك لم يمنعني من التردد أحياناً على داري هناك في جبل قتيم.. ذقت المُر والهوان ، كنت أنام وأنا بريء ، وأصحو وأنا عميل ومخرب .. أمشي .. قالوا : أين تذهب !! أجلس .. قالوا : من تنتظر !!

المهم عيشه جنان في جنان!!

لا !!

– هل انتهت معاناتك بإنتقالك للراهدة ؟

● لا .. لقد كنت أعتقد بأن انتقالي إلى الراهدة سوف ينهي معاناتي وهمومي ، بل سأتخلص من لعنة التشطير – لكن للأسف الشديد انطبق علي المثل القائل : «الذي لاحقته البرد يتبعه للحمام» ! فقد لاحقتني اتهامات التشطير إلى الراهدة دون ذنب!!

كل شيء !

– ماذا كان يمثل الدار للعم سعيد ؟

● لقد كان الدار هو كل شيء بالنسبة لي ففيه استنشق ريحه وعطر الآباء والجدود ، ومن على سطحه كنت أرحل بنظري كل يوم اتطلع إلى عدن .. كنت أزورها وأشبع عيني من رؤيتها بعد أن كان السفر إليها حلماً وطريفا محفوفا بالمخاطر والصعوبات والـ«س ، ج» !

جيعان !

– يقال بأن العم سعيد كان يتظاهر بالبساطة ، وباطنه رجل سياسي بامتياز؟

● يبتسم .. ويقول : كنت جيعانا ومشردا فالجوع كان كل همي ، ولم أعمل يوما بالسياسة ولا أدري ما هي أو نوعها .. هل هي تؤكل أم تلبس .. لقد كنت يا أبني أبحث عن لقمة العيش والقوت الضروري الذي ذبحني وهد حيلي ، لقد ظلت أؤكد للصغير والكبير وللأمن في الجانبين عندما كانوا يتعرضون لي بأني رجل بسيط وبريء مما ينسب ويوجه إليّ من تهم دون فائدة .. سياستي كانت الحلاوى ولا شيء آخر غيرها!

خلال تلك الفترة لم التق بأي إنسان من هنا أو هناك له علاقة بالأمن في الجنوب أو الشمال ، لقد عشت وحيداً وسأموت وحيداً وحسبي من هذه الدنيا أن الشعب اليمني توحد وذهب عنه كابوس التشطير ، أما السياسة فلها رجالها ولم تكن صنعتي قط !!

السجن !

● حكايتك مع السجون؟

– حكايتي مع السجون غريبة دون تهمه محددة ، فقد تم توقيفي أكثر من مرة وتم اتهامي بأكثر من تهمة كالخيانة والعمالة والارتزاق والتخريب وو... ، هناك الكثير من الاتهامات والأوصاف التي كانت تطلق عليّ من هذا الطرف أو ذاك ولم أعد أتذكر جميعها ، كما لم أكن أفهم معانيها ، وفي بعض الأوقات كنت أحاول أن أسأل العسكر الذين يوقفونني عن معانيها ولم الق منهم جواباً، بل كانوا يقولون لي : «بطل عماسة!!».

اخر مرة تم سجني في سجن الحصب بمدينة تعز وأذكر بأن الحلالي هو من قام بإخراجي من هناك حينها!

كما أن التهم لم تلاحقني أنا وحدي فقط ، بل أن أخي الآخر الذي كان يملك سيارة ويسكن في محافظة لحج كان اسمه «علي الكبير» أتهم هو الآخر وتم احتجازه أكثر من مرة وفي أكثر من مكان .. كان اخرها سجنه في أحد سجون محافظة لحج أثناء قيامه بتحميل كمية من الحبوب في رمضان أثناء عبوره إلى لحج من تعز ، حيث تم إخراجها للفقراء هناك كزكاة ، حيث جلس أخي محتجزاً لمدة أسبوع بتهمة أن القمح هو من الرئيس صالح!!

لقد كان أخي يتعرض للكثير من الاستجوابات والتباحثات التي أصبح يحفظها عن ظهر قلب!!

عين الشمال!

– ما هي نوع التهم التي كانت توجه إليك هنا أو هناك؟

● في الشمال كانوا يقولون لي بعض الأحيان : «إنك تعمل مع الجبهة التخريبية» التي كانت في بعض الأوقات تتخذ من جبل قتيم مكانا لانطلاقها وأحياناً تسكن في الدار ، دون علمي لأنني هجرت المكان منذ فترة!!

أما عندما يتم توقيفي في المناطق الجنوبية من قبل الأجهزة الأمنية هناك فكانوا يتهمونني بأني على تواصل مع الرئيس وعين للشماليين!!

أعشق الوحدة

– عم سعيد .. أنت متهم بأنك كنت تعمل مع الجانبين .. تعليقك ؟!

● ياما ردد الكثيرون هذا الكلام خلال الفترة الماضية ، لكن ما يصح إلا الصحيح في اخر الأمر، فعلى مدى حياتي لم أتجاوز حدود مدينة تعز إلى أي منطقة شمالية، كما أنني لم أزر من المحافظات الجنوبية سوى مدينة لحج بهدف شراء نشا للحلوى ليس إلاَّ!

فلم يجندني أحد للعمل معه ، لكنني كنت عاشقاً للوحدة ومحباً لها.

ومع ذلك ظلت اتلقى كل الجور ، وسيل من الاتهامات بدون سبب ولأي سبب ، تخيل تنام وأنت بريء وتصحو وأنت متهم ، خاصة عندما كنت تعبر أي مناطق تفصل الطرفين!!

نعم!

– هل استطاعت الحلوى أن تتجاوز نقاط العبور وهل كان مرحباً بها هناك؟

● استطيع القول أن الحلوى سافرت إلى عدن ولحج وأبين وغيرها ، فقد كان الكثير من الأشخاص والطلاب الذين يدرسون في عدن وهم من المناطق الشمالية ، وكذا مواطنون من المحافظات الجنوبية يحرصون كل الحرص على شراء كميات من حلوى الراهدة وإهدائها إلى أهاليهم وأقاربهم في هذه المناطق ، حيث كانت هذه الحلوى بمثابة دليل على زيارة الشخص لمناطق الشمال ، كما أنها تعد في نفس الوقت هدية محببة ومفضلة ينتظرها منك الأهل في عدن ولحج وغيرها إذا كنت قادماً من الراهدة أو تعز.

ومعظم العناصر الأمنية في مناطق الجنوب عندما كانت تفتش في أمتعة المسافرين وتعثر على الحلوى تدرك أن العم سعيد هو من صنعها ، لذا فلم تقفل أمامها مناطق العبور سواءً أيام الهدوء أو التوتر بين الطرفين.

رصيد الخوف !

– بصراحة.. ما هو رصيد العم سعيد في زمن التشطير وعهد الوحدة ؟

● العم سعيد .. كان على الرغم من أنه يمتهن مهنة صنع الحلاوى وأصبح له اسم في السوق إلا أنه كان للأمانة بدون رصيد!!

أما بعد الوحدة ، فأستطيع القول بأن العم سعيد – ولله الحمد- استطاع ولأول مرة في حياته أن يكون له ثروة طيبة فخلال ١٥ عاماً من عمر الوحدة فقط استطعت أن أفتح أكثر من ١٨ محلاً لبيع الحلويات في أكثر من محافظة ، كما أملك أكثر من ٢٠٠٠ قصبة ، بالإضافة إلى العقارات والبيوت وو... ، وهذا والحمد لله من خيرات الوحدة علينا ، وأعول ١٣ شخصاً ولي ١٣ إبناً!!

فخلال فترة التشطير لم أربح شيئاً سوى الخوف والاتهامات من هذا وذاك!!

بل أن هناك من الأشخاص من راح يفتح محلات باسم «علي سعيد» في العديد من المدن والمحافظات اليمنية دون أن يبت لي بصلة ولا أعرف عنه شيئا وكذلك هو!!

أمن وأمان !

– ماذا تعني لك الوحدة وكيف استقبلت الخبر؟

● الوحدة اليمنية بالنسبة لـ«علي سعيد» الأمن والأمان ، هذا المنجز التاريخي الهام فك قيود الاتهامات التي كانت تكبلني أينما ذهبت ، حيث كان من السهل أن يأتي شخص ويبلغ بك لأي طرف من الأطراف ، وقد تذهب ضحية هذه الوشاية ! فعندما قامت الوحدة في الـ٢٢ من مايو ٩٠م استنشقت نسيم الحرية وعطرها!

زبائن !

– من هم زبائن علي سعيد ؟

● لا أكون مبالغاً إذا قلت بأن زبائني يكادوا يكونون من معظم فئات المجتمع .. ابتداءً بالمواطن العادي مروراً بشرائح الطلاب إلى الوزراء والسياسيين ، بالإضافة إلى أن هناك الكثير من السياح الذين يأتون إلى المحل لشراء الحلوى ، وهناك صحافيون أجانب جاءوا إلى هنا وعملوا موضوعاً متكاملاً حول الحلوى ، ثم أرسلوا لي بالمجلة من أمريكا.

الماضي!

● ماذا يعني الماضي لكم؟

– الماضي هو الجوع ، وعندما تعود بي الذاكرة إلى الوراء لا أتذكر سوى الحرمان ، فقد عشت مع العديد من المواطنين في المنطقة فترات قاسية وصعبة ، كانت المسافة بين الراهدة وجبل قتيم حيث داري أقطعها في يومين مشياً على الأقدام، الآن الحمد لله الوضع مختلف تماماً.

احترام الرئيس!

● ألاحظك ترفع صور الأخ الرئيس في كل مكان داخل المحل وخارجه .. ماذا تهدف من ذلك؟

– الحمد لله.. لا أهدف إلى شيء ولا أبحث عن البهرجة أو رفع شعارات براقة.. إنني أرفع هذا الكم من صور رئيس الجمهورية على واجهات المحل وجدرانه من الداخل لأعلن للملأ أني أحب وأحترم هذا الرجل، لأنه صنع الوحدة لنولد من جديد بعيداً عن مرض التشطير وكابوسه الذي ظل يخيم طويلاً.

■ جمرك الراهدة